حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي في عسير

(١٣٤٠-١٣٤١هـ/ ١٩٢٢-١٩٢٣م)

د. خلف بن دبلان الوذيناني
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

تقع عسير في الجهة الغربية من شبه الجزيرة العربية بين الحجاز واليمن. وتنقسم أرضها إلى منطقتين: الأولى سهلية تمتد على ساحل البحر الأحمر وتسمى تهامة عسير، والثانية منطقة جبلية يطلق عليها اسم عسير السراة، وكانت هاتان المنطقتان تسميان لواء عسير في العصر العثماني حتى عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

واسم عسير أيضاً يطلق على البلاد جغرافياً، وهذا مصطلح حديث العهد، أطلقه العثمانيون عليها. وعسير اسم هذه القبيلة، وهو غاية في القدم، وقد أطلق على هذه البلاد، وسميت باسم بلاد عسير.

ويحدها من الجنوب مدينة صعدة، وشمالاً بلاد زهران، أما من جهة تهامة جنوبا فيحدها وادي أبو عريش وشمالاً وادي دوقة بالقرب من منطقة الليث، ومن الشرق قبائل قحطان شرقي صعدة، ومن الشمال الشرقي وادي بيشة، ومن الغرب البحر الأحمر[١].

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٢، ص ٥٣١.

وظلت عسير في عزلة عما كان يجري حولها من أحداث سياسية فيما مضى، كما كانت مجهولة عن الرحالة والمؤرخين العرب والأجانب على حد سواء(٢).

أما إمارة آل عايض في عسير فإنها حديثة العهد، وترجع إلى أيام الدولة السعودية الأولى(٣). ويعني ذلك أنه لم تنشأ بها سلطة تستطيع توحيد قبائلها ومناطقها إلا في ظل حكم الدولة السعودية الأولى في بداية القرن الثالث عشر الهجري، حيث توحدت أجزاؤها وقبائلها تحت قيادات محلية تستمد قوتها وقيادتها الشرعية من قادة الدولة السعودية الأولى(٤).

وبعد ذلك توالى أمراء هذه المنطقة على حكمها من أبنائها من محمد بن عامر الرفيدي المتحمي العسيري المكنى «أبو نقطة» الذي قدم إلى الدرعية عام ١٢١٥هـ، ودرس فيها الدعوة السلفية، وناضل عنها عندما عاد إلى عسير، فكان أول أمير ظهر في عسير، وقد شملت إمارته عسير، التى تمتد في حدودها الجغرافية ما بين بللحمر فمحايل شمالاً حتى بلاد قحطان، فبني شعبة جنوباً، وغربا ما بين سواحل القحمة حتى بلاد شهران شرقاً، وكان تحت الحماية السعودية، إذ أقامه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود أميراً على عسير السراة وما حولها، وكان ذلك بداية اشتهار عسير إقليمًا ضمن بلاد العرب(٥).

(٢) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، منشورات الفاخرية، الرياض، ودار الكتاب العربي، بيروت، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٣٦١.

(٤) عبدالواحد محمد راغب دلال: البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص١٧٧.

(٥) عبدالله محمد حسين أبو داهش: عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى، الطبعة الأولى، إصدار نادي أبها الأدبي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٢٥-٢٦.

وكانت منطقة عسير مصدر قلق لمحمد علي باشا بعد نزول قواته في أرض شبه الجزيرة العربية، لخضوع هذه المنطقة للنفوذ السعودي، واتباع الكثير من قبائلها مبادئ الدعوة السلفية، وبما أنها جزء من أجزاء الدولة السعودية وأبناءها من رعاياها - وهذا هو الواقع - لذلك سير لها الحملات العسكرية لحرب أبناء عسير على أساس أنهم سلفيون لرفضهم الإذعان للدولة العثمانية؛ لأنهم يكنون الولاء والبيعة لآل سعود في الدرعية، وقد أخذ إخضاع المنطقة جهداً كبيراً من قوات محمد علي حتى تمكنت من إخضاعها عام ١٢٣٠هـ بعد إلقاء القبض على طامي بن شعيب، وتمركزت قوات محمد علي في طبب بعسير، وقد استمر حكمه بعسير ست سنوات، وكانت بين عامي ١٢٢٥ - ١٢٣٠هـ، فقد أناب محمد علي عنه لحكم عسير قائد حاميته العسكرية. ومع ذلك فإنّ نفوذ الدولة العثمانية لم يكتب له الاستقرار؛ لإثارته الفتن والفوضى في بلاد عسير، فضاق به الناس ذرعاً، مما دعا أهل عسير للانقضاض على الحامية العثمانية في «طبب» بقيادة محمد بن أحمد المتحمي في رمضان ١٢٣٠هـ/١٨١٤م، فاستطاع استرجاع حكم عسير بعد خمسة أشهر وبضعة أيام(٦). وحكمها ثلاث سنوات انتهت في عام ١٢٣٣هـ، وهذا التاريخ يمثل سقوط الدرعية على يد إبراهيم محمد علي باشا، وانحسار الحكم السعودي عن عسير والإمارات التابعة للدولة السعودية الأولى(٧).

وحين حالت الظروف السياسية عن الاتصال المباشر لبلاد عسير بالدرعية عام ١٢٣٣هـ في نهاية الدولة السعودية الأولى كانت الإمارة في عسير بيد محمد بن أحمد المتحمي؛ لذلك منحت القيادة في عسير التفويض من السعوديين بأن تعمل ما تراه مناسبا؛ لأنّ عسير

(٦) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨١م، ج٢، ص ٤٤-٤٥. دلال: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٧) أبو داهش: المرجع السابق، ص ٢٧.

أصبحت شبيهة بقائد في الميدان، حالت الحرب بينه وبين الاتصال بمقر قيادته، فعليه أن يتصرف بما تمليه الظروف وبما يراه مناسباً دون الرجوع لمقر قيادته؛ لأنّ الحرب كانت سجالاً وقائمة بين أهل عسير وقوات محمد علي والي مصر من قبل الدولة العثمانية، وذلك للسيطرة على عسير وأهلها، لأنها تمثل له مصدر قلق.

وفي ظل هذه الظروف القائمة والتي تشمل القتال والاستسلام مع العدو أو عقد المعاهدات وغيرها من أمور الحرب دون التنصل من المسؤولية والولاء لرئاسة بلده تحت أي ظرف أو ضغط كان، لذا كان الأمير محمد بن أحمد المتحمي ومن جاء بعده يقاتلون القوات العثمانية؛ لأنهم كانوا يدينون بالولاء والوفاء للدولة السعودية راعية هذه الدعوة السلفية(٨).

ويقول عبدالواحد محمد راغب دلال: "إنه قد عاد الاتصال بين عسير وقادة الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام تركي بن عبدالله، وابنه الإمام فيصل بن تركي بأسلوب آخر، ليست فيه إثارة للدولة العثمانية"(٩)، ولكنه لم يذكر تاريخ الاتصال بهذين الإمامين.

وفي خضم هذه الظروف تحولت الإمارة من محمد بن أحمد المتحمي إلى سعيد بن مسلط المغيدي الذي كان يشاركه في الحكم من قبل، كما عهد سعيد بن مسلط هو الآخر بها إلى ابن عمه علي بن مجثل، وابن مجثل عهد بها إلى عائض بن مرعي، وليس مستبعداً أن يكون ذلك كله تم بما رآه ذوو الرأي والمشورة، فهو منهج سار عليه العسيريون منذ البداية في اختيار الأكفاء من رجال منطقة عسير(١٠)، لمواجهة أطماع محمد علي ومن جاء على شاكلته في

(٨) دلال: المرجع السابق، ص ١٧٩. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(٩) دلال: المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠. وانظر: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(١٠) دلال: المرجع السابق، ص ١٨٠.

المنطقة... لذلك تنسب أسرة آل عايض إلى مؤسس إمارتها الأولى "عايض بن مرعي" من أهل ريدة آل يزيد[١١] من بني مغيد من قبائل عسير ومركز إمارتهم في أبها، والواقعة وسط مدينة عسير[١٢].

واستمر عايض في حرب العثمانيين إلى أن توفي في ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ (١٧/٤/١٨٥٧م)، فتولى من بعده الإمارة ابنه محمد بن عايض بن مرعي، فواصل هو الآخر الحرب مع العثمانيين حتى بلغت الإمارة في عهده إلى بسط نفوذها على سائر عسير السراة، وقسم من تهامة عسير، وقسم من الحجاز (غامد وزهران)، وقد توغل في اليمن فوصل تهامة اليمن حتى المخا، وحاول الاستيلاء على الحديدة، وحاصرها فترة من الزمن، لكن الحامية العثمانية الموجودة في اليمن استطاعت صده عنها بالقوة.

وفي طريق عودته إلى عسير قام بتخريب بعض المدن، وارتكب جنده فيها أعمال النهب والسلب؛ مما دفع بالقيادة العثمانية في الحجاز إلى أن ترسل له حملة عسكرية، قادها كل من رديف باشا وأحمد مختار باشا، فتصدى لها في بداية الأمر بكل شجاعة وقوة وبسالة من حصن «ريدة»، ولكن النتيجة لهذه الحملة ختمت حياته بمأساة، إذ غدر به رديف باشا بعد أن أعطي الأمان من قبل أحمد مختار باشا، وقتله مع خمسين من رجاله غدراً في صفر ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م[١٣]. فعزل

(١١) آل يزيد تعود سلالتهم أو نسبهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، انظر: أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٢٩.

ويرى الشيخ هاشم النعمي أن عايض بن مرعي وذويه لا ينتمون إلى يزيد بن معاوية من بني أمية، وإنما ينحدرون من عشيرة آل يزيد من قبيلة مغيد، إحدى قبائل عسير. هاشم سعيد النعمي: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٢٣٠.

(١٢) الزركلي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٧.

(١٣) محمد بن أحمد العقيلي: المخلاف السليماني، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ٥٤٦-٥٥٠. الزركلي: المصدر السابق، ص ١٤٧-١٤٨. فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦١-٣٦٢.

السلطان العثماني رديف باشا بسبب تجاهله وثيقة الصلح والفرمان الصادر من الباب العالي[١٤].

وأصبحت عسير منذ ذلك اليوم تابعة للدولة العثمانية، مركزها أبها، ويتبعها ستة أقضية هي:

١ – بنو شهر أو النماص.

٢ – غامد، ومركزها رغدان.

٣ –رجال ألمع، ومركزها الشعبين.

٤ – محايل، ومركزها محايل.

٥ –القنفذة.

٦ – صبيا وأبو عريش[١٥].

وبعد مقتل محمد بن عايض فرّ كثير من آل عايض في أطراف عسير السراة، وظلوا مطاردين من الولاة العثمانيين الذين تولوا متصرفية عسير[١٦]. ولكن بعض الوثائق العثمانية المحفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول تشير إلى أنه بعد مقتل محمد بن عايض غدراً قبض رديف باشا على حوالي (٦٠٠) شخص يمثلون رؤساء وأعيان وشيوخ أهل عسير، فقام بترحيلهم مع من تم القبض عليه من آل عايض إلى إسطنبول، ثم بعد ذلك تم نفيهم إلى الروملي[١٧] بعد أن أقدم على قتل وتصفية كل من خاف أن يقف في وجه سياسته، وكان ذلك بهدف استقرار بلاد عسير للدولة العثمانية. وكان بين الأسرى شقيقا الأمير محمد بن عايض، وهما عبدالرحمن

(١٤) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢. دلال: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(١٥) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(١٦) الزركلي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٨.

(١٧) وثيقة رقم ٤٣٨٧، بدفتر إرادة داخلية رقم ٦٠٧٠٨ في ١٣٩٤/٣/٢١هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

وأخوه سعيد[١٨]. وقد استمرت استضافة هذين الأميرين في إسطنبول حتى ثبت للدولة العثمانية إخلاصهما، لذلك تم العفو عنهما، وأعيدا ومعهما الكثير من رؤساء بلاد عسير وزعمائها في عام ١٢٩٤هـ بعد إعلان طاعتهما للسلطان العثماني[١٩].

وهناك وثيقة أخرى تذكر أنه بعد مقتل محمد بن عايض أسر محمد رديف باشا ستمئة وثمانين من بينهم عدد من آل عايض وآل حفظي وكبار قادة عسير وأعيانها، ونقلوا إلى إسطنبول، وبعد وصولهم أمر السلطان العثماني بتوزيعهم على الولايات العثمانية لطمس أخبارهم وهويتهم، ولكن السلطان علم بما حدث من غدر لأهل عسير بعد الصلح، وما جرى من تصرفات المشير محمد رديف، فأمر باستدعائه، وقدم للمحاكمة فور وصوله، فقضت بعزله من الجيش، وخلع رتبه العسكرية، وأبقى الأسرى لديه في إسطنبول تحت رعايته مدة سبع سنوات (١٢٨٩ - ١٢٩٦هـ)، وأوكل من يقوم على شؤونهم، وكان العامة من الأسرى يتسللون ويعودون إلى بلادهم[٢٠].

وعلى أية حال عندما عاد سعيد بن عايض، عين لإخلاصه «قائمقام» قضاء غامد وزهران[٢١].

وفي عام ١٣٢٩هـ /١٩١١م، عينت الدولة العثمانية سليمان كمالي باشا متصرفا لعسير[٢٢]، فعاد آل عايض إليها، ومنهم علي بن محمد

(١٨) وثيقة رقم ٤٣٨١، إرادة داخلية في ١٣٩٤/١٢/٢٨هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(١٩) وثيقة رقم ٤٥٣٦ بدفتر إرادة داخلية تحت رقم ٧٥٤٦٢ في ١٣٠٢/٩/٢١هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢٠) وثيقة رقم ٤٧٩٣ بدفتر إرادة داخلية رقم ٩٤٨٩٦ في ١٣٠٨/٦/٢٤هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢١) وثيقة رقم ٤٧٩٤ بدفتر إرادة داخلية تحت رقم ٩٤٨٩٧ في ١٣٠٨/٥/٢٥هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢٢) الزركلي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٨.

بن عايض الذي ظل هارباً لمحاولته العودة إلى عسير وطرد العثمانيين منها(٢٣). ولكن سليمان كمالي قربهم منه، وعين أحدهم وهو حسن بن علي بن محمد بن عايض معاونا له في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م(٢٤).

قال سليمان باشا كمالي في مذكراته توضيحا لذلك الأمر: "كنت قبل سفري إلى أبها وجدت في كرسي وكالة المتصرف عبدالله بن عايض ابن الأمير محمد بن عايض آخر أمراء عسير السابقين، ولم أعلم كيف تولى هذا المنصب مع أني قبل سفري من إسطنبول قد استأذنت الصدر الأعظم في استمالة من أجدهم أهلاً للعمل من آل عايض، لاستخدامهم في خدمات الحكومة، ونجحت في موافقة الصدر الأعظم على ذلك الاقتراح"(٢٥).

ويبدو أنّ عبدالله بن عايض لم يدم طويلاً معاوناً له، فقد شك المتصرف سليمان باشا كمالي في نواياه ومدى ولائه للدولة فعزله، وعين بدلاً عنه ابن أخيه حسن بن علي بن محمد بن عايض عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، وقد بقي في هذا المنصب معاوناً له حتى رحل العثمانيون عن عسير(٢٦)، حين أعلنت الحرب العالمية الأولى، فظل حسن بن علي بن محمد بن عايض على ولائه للدولة العثمانية يعاون محيي الدين باشا متصرف عسير الجديد - الذي أعقب سليمان باشا الكمالي - على مقاومة الإدريسي طوال الحرب لدفع عدوانه عن عسير(٢٧) التي كان ينوي الاستيلاء عليها.

(٢٣) وثيقة رقم ٤٤٨١ دفتر إرادة داخلية تحت رقم ٧٢٢٣٧ في ١٣٠١/٥/٧هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢٤) الزركلي: المصدر السابق.

(٢٥) محمد العقيلي: مذكرات سليمان شفيق باشا، الطبعة الأولى، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٣١.

(٢٦) دلال: المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٥.

(٢٧) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

ولما انتشرت في العالم العربي أنباء هزيمة الدولة العثمانية أمام الحلفاء الذين أملوا عليهم شروطهم في هدنة (مندريوس) في ٢٥/١/١٣٣٧هـ الموافق ٣٠/١٠/١٩١٨م، والتي كان من بينها توقف القتال في الميادين الحربية كافة، وتسليم حامياتها في الحجاز وعسير واليمن وسوريا والعراق إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء كما جاء في المادة (١٦) من الهدنة، وقد استغلت بريطانيا هذا الأمر، فأشاعت هذا النبأ ثم أبلغته رسمياً لقياداتها في تلك البلاد[٢٨].

وفي تلك الفترة كان متصرف عسير محيي الدين باشا قد تلقى في شهر ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ أمر حكومته عن طريق «الإنجليز» بوساطة الإدريسي بإخلاء عسير والرحيل بحراً على الوسائط البحرية الإنجليزية، فامتثل المتصرف العثماني محيي الدين باشا، وسلم البلاد إلى أهلها[٢٩]، حيث قام بتسليمها إلى مساعده الحسن بن علي بن محمد بن عايض التي آلت إليه إمارة عسير بحكم وظيفته، واجتمع عليه آل عايض يشدون من أزره، ويشدون على يده[٣٠].

أما كيف عاد النفوذ السعودي إلى منطقة عسير فيقول أمين الريحاني المعاصر لتلك الأحداث: "إنه في نهاية الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عقب نهاية الحرب بين الشريف حسين والعثمانيين في المدينة المنورة، فقد انتاب الشريف حسين نوع من الزهو والغرور، فوجه قواته نحو نجد بقيادة ابنه عبدالله بن حسين، وكانت ترافقه مجموعة كبيرة من الضباط والجنود النظاميين بلغ عددهم سبعة آلاف، علم سلطان نجد السلطان عبدالعزيز آل سعود بزحفهم؛ فأعلن النفير، أما عبدالله فأعلن أنه ذاهب لتأديب العصاة في تربة

(٢٨) دلال: المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢٩) محمد أحمد العقيلي: المخلاف السليماني، ج٢، ص ٧٣٦.

(٣٠) تاريخ عسير: رؤية تاريخية خلال خمسة قرون في رسالة إبراهيم زين العابدين الحفظي، تحقيق محمد مسلط البشري، الطبعة الخامسة، ص ٢١٣.

والخرمة الذين خرجوا عن طاعتهم، ثم بعد ذلك يسير نحو نجد، فسار عبدالله بقواته، واستطاع أن يستولي على تربة دون مقاومة تذكر في ١٣٣٧/٨/٢٤هـ (١٩١٩/٥/٢٤م)، فقرر أن يبيت ثم يتحرك في اليوم التالي إلى الخرمة".

وكانت طلائع قوة السلطان عبدالعزيز تعسكر بالقرب من الخرمة التي لم تمهله إلى شروق شمس اليوم التالي كما أراد، بل باغتته ليلاً فقضت على جميع قواته، ولم ينج منهم إلا هارب، وكان من بين الهاربين الأمير عبدالله وقد نجا بأعجوبة، وغنم سلطان نجد الأسلحة والمعدات التي كانوا يتباهون بها، فكانت نكبة أخرجتهم من حالة النشوة والزهو في انتصاراتهم على الدولة العثمانية التي كانوا يعيشونها(٣١).

وقد أصبح انتصار السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في معركة تربة له صدى واسع في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتأثير فاعل في وسط القبائل في المنطقة وخاصة في قبائل عسير وتهامة القريبتين من مكان المعركة؛ لأنها أعادت إلى أذهانهم ماضي أمجادهم حينما كانوا تحت ظل الدولة السعودية الأولى، وأنهم ما زالوا يكنون لآل سعود المودة والمحبة والولاء.

أدت تلك الصحوة السلفية للعودة من جديد بين بعض قبائل عسير وخاصة قبائل قحطان وشهران وزهران وغيرها من القبائل إلى إحياء مبادئ الدعوة السلفية، وبالتالي أدت إلى عودة النفوذ السعودي إلى عسير، وكان حسن بن علي بن محمد بن عايض لم يمض عليه في منصبه سوى سنة وأشهر عدة حين شاهد هذه الصحوة تسري بين قبائله عقب معركة تربة، فأحس فيها تهديداً لسلطته، فعمد إلى مقاومتها(٣٢).

(٣١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٢٤٤-٢٥٧. حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ٢٦١. الزركلي: المصدر السابق، ص ٣١٦-٣٢٣. دلال: المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣٢) دلال: المرجع السابق، ص ١٩٩-٢٠١.

أ - حملة عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م):

وهي المحاولة التي سبقت حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود؛ لترسيخ الحكم السعودي في عسير حين شرع حسن بن عايض في إدارة بلاده بعد جلاء الترك على شكل أحفظ الناس[٣٣]، وجعل من نفسه الحاكم المطلق على بلاد عسير، واغتر بنفسه؛ فاستبد بالرعية، وطغى عليهم وتجبر.

وبسبب ذلك نفرت منه القبائل وخصوصاً قبائل قحطان وزهران، وأرسلت وفودها شاكية إلى السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود[٣٤]، شارحين له ما آلت إليه المنطقة من الفوضى والاضطراب، وكان السلطان محبًا للسلم والسلام، ولاينفذ سياسته بالقوة إلاّ بعد أن تسد الأبواب في وجه المساعي الحميدة للسلام[٣٥]؛ فبعث إليهم بستة من علماء نجد للإصلاح بينهم، وكتب إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة، ويدعوهم للرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم، وهو العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وقد استمر حسن في غيه وسياسته القمعية والتعسفية، فأبى توسط العلماء، وعدّ تلك الوساطة تدخلا في شؤون عسير الداخلية، وردهم مكابراً حيث قال: "إذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل - قلعة بيشة - ونستولي عليها؛ حيث إنها كانت تابعة لأجدادي في الماضي"[٣٦]، فرجع الوفد من حيث أتى دون فائدة، فوجد السلطان عبدالعزيز أنّ

(٣٣) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٣٤) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠.

(٣٥) هاشم النعمي: المرجع السابق ص ٣٥٤.

(٣٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٤.

السيطرة على عسير السراة، وإخضاع ابن عايض فيها يتطلب استخدام القوة العسكرية[٣٧].

لذلك اضطر السلطان عبدالعزيز إلى تجهيز حملة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي؛ لتوطيد الأمن، وإنهاء الفوضى الضاربة في بلاد عسير، وأمره أن يدعو حسن بن عايض للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان أسلافه الأولون في منطقة عسير، وكانت لأسلاف عبدالعزيز سيادة على مقاطعة عسير، وقد دخلت ضمن أملاكهم[٣٨]. وكانوا يرجعون إليهم في حل مشاكلهم، ويرون في حاكم نجد أنّه هو الحاكم الشرعي، إذاً لابد من الاقتداء بأسلافهم السابقين[٣٩].

وعلى أية حال فقد سار الأمير عبدالعزيز بن مساعد بحملته عندما لم تنجح الوساطة السلمية في شهر شعبان ١٣٣٨هـ الموافق مايو ١٩٢٠م، وواصلت تقدمها عن طريق رنية حتى وصلت إلى بيشة، وتقع هذه المدينة في المنتصف بين نجد وعسير، والتي اتخذها الجيش السعودي قاعدة لعملياته العسكرية[٤٠]، وقيل: واصل زحفه إلى القاعة[٤١]، وهي أرض منبسطة تقع في شرق بلاد شهران، حيث عسكر بجيشه هناك، وفيها انضم إليه قبائل قحطان وشهران، وكان الأمير بن مساعد يحمل معه رسائل إلى كبار مشايخ قحطان وشهران وصاحب عسير، وغامد وزهران وغيرهم من القبائل يدعوهم فيها

(٣٧) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود: الطبعة الأولى، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص ١٤٥.

(٣٨) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠.

(٣٩) عبدالرحمن الحصين: فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٤٢.

(٤٠) أمين الريحاني: المصدر السابق.

(٤١) قاعة ناهس: حيث يقع تجمع رجال قحطان، وتبعد عن مدينة أبها في الاتجاه الشرقي بحوالي سبعين كيلاً. انظر هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٥.

إلى جمع الشمل، واتحاد الكلمة، وتطبيق الشريعة كما كان أسلافهم[٤٢].

ومن القاعة بعث الأمير عبدالعزيز بن مساعد الرسائل التي كان يحملها إلى أصحابها مصحوبة برسائل منه شخصياً يحثهم فيها على تجنب مخاطر الحروب والجنوح إلى السلم، والدخول تحت الطاعة السعودية، فانهالت عليه رسائل التأييد، ومن ضمن هذه الرسائل رسالة من أحمد بن صالح بن عقال أحد مشايخ قبائل بلجرشي (غامد) يعلن فيها دخول قبائله، والطاعة للسلطان عبدالعزيز، ويتعهد أيضا بنصح كل قبائل غامد الذين يجهلون هذه الدعوة لحثهم على دخول الطاعة[٤٣].

وتلا ذلك بعض شيوخ القبائل الذين أعلنوا الطاعة مع استعدادهم لدفع الزكاة، بل منهم من كان عوناً للأمير ابن مساعد، مثل: سعيد بن مشيط أحد رؤساء قبائل شهران الذي قام بجمع قبيلته، ورتب قراه، وحث الناس على دخول طاعة آل سعود، ثم أرسل عيونه إلى أبها عونا للأمير ابن مساعد؛ للاستطلاع على الأخبار فيها[٤٤].

أما أمير عسير حسن بن علي بن محمد بن عايض فقد بعث إليه الأمير عبدالعزيز بن مساعد برسالة السلطان عبدالعزيز ومعها رسالة أخرى منه يحملها وفد يتكون من كبار قادة الجيش برئاسة القاضي الشيخ عبدالله بن راشد، ومحمد بن سلطان، وفيصل بن حشر القحطاني وآخرين معهم[٤٥]، وكان مضمون رسالة السلطان

(٤٢) محمد بن عبدالله آل زلفة: عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٢٩-٣٠.

(٤٣) وثيقة رقم ٢٢٥ في ١٣٣٨/١٠/٢٥هـ، من محفوظات دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

(٤٤) حسن حسن سليمان: المرجع السابق، ص ٧٤-٧٧. عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٤٥) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٦.

عبدالعزيز هي دعوة أمير عسير إلى اجتماع كلمة العرب بتقويم دين الله والتعاضد على كلمة الله؛ لتكون هي العليا، وأنه ليس له قصد في الأذى أو التعدي على أمر من أمور الدنيا غير راحة المسلمين(٤٦). وتضمنت رسالة السلطان عبدالعزيز أيضًا تفويض الأمير ابن مساعد في المفاوضات معه على ما يتفق عليه الطرفان(٤٧).

فاستدعى الأمير حسن كبار قومه بعد وصول الرسالة؛ للتشاور والرد عليها للأمير بن مساعد غير أنّ رد ابن عايض جاء مراوغاً، امتاز باللباقة عندما استعرض فيها العلاقات بين الجانبين، ورحب بتطبيق الشريعة الإسلامية واتحاد الكلمة، وأظهر استعداده لإيفاد من يدير المباحثات معه إلا أنه في الوقت نفسه رفض الدخول تحت طاعة آل سعود عندما قال: "إنّ آل عايض ملتزمون بحدود الله وتطبيق شريعته، ولسنا بخارجين عن طريق الحق والشرع"، ثم بعد ذلك أفصح عن حق عسير في الاحتفاظ باستقلالها ضمن حدودها المعروفة، وما أشكل يعرض على هيئة تحكيم شرعية تفصل بين الطرفين(٤٨).

وفي تلك الأثناء كان الأمير ابن مساعد يبعث للسلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الرسائل من بيشة، ومن القاعة محملة بأخبار الحملة وخطواتها وما يستجد فيها لحرب عسير، ثم بأخبار القبائل التي أعلنت ولاءها والتي ما زالت مع الجانب الآخر (آل عايض)، ويظهر ذلك من رسائل السلطان عبدالعزيز التي كان يبعث بها رداً على رسائل الأمير ابن مساعد، والتي كان يقول فيها: "والخط منكم وصل وما عرفته منه كان معلوم"؛ لذلك كان السلطان في هذه

(٤٦) رسالة حسن بن علي بن محمد بن عايض، أمير عسير إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد في ١١/١٠/ ١٣٣٨هـ (نقلا عن عصام ضياء السيد: عسير، ص ٣٢٥).

(٤٧) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤٨) عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص ٤٦-٤٧. محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص ٣٠.

الرسائل لا يفصح عن شيء، ولايفصل فيما ورد إليه، ولعل أغلب تعليماته هي خطابات شفوية سرية مع صاحب البريد لقائده الأمير ابن مساعد(٤٩)؛ لذلك نرى عدم تعجل الأمير ابن مساعد في حرب عسير، ولم ييأس من رد ابن عايض، بل بذل محاولة سلمية أخرى، فأرسل إليه وفدا برئاسة القاضي عبدالله بن راشد؛ لمناقشته لإعادة النظر في السلم ودخول الطاعة(٥٠)، والحقيقة فقد مال الأمير حسن للسلم إلا أنّ ظهور جناح متصلب من قبيلته بني مغيد كان يرى عكس ذلك؛ فقاموا بتهديده بالخلع لو جنح للسلم، وقالوا له: "إنّ القوة لا تواجه إلا بالقوة"، فأحبطت تلك المساعي من قبل الذين لا يريدون السلام(٥١)، فصار الصدام بين الجانبين، وخاصة حينما أرسل حسن بن علي آل عايض مشطًا (رصاصًا)، وهذا معناه علامة الرفض للمفاوضات السلمية، لذلك واصل الأمير ابن مساعد تقدمه من القاعة(٥٢) في طريقه لابن عايض. وعندما دنا من جبال عسير انضمت له قبائل شهران التي سبق أن أعلنت طاعتها، وعلى رأسها رئيساهما سعيد بن مشيط ومحمد بن دليم(٥٣). ثم واصل زحفه إلى أبها، فخرج إليه حسن بن علي آل عايض من أبها ومن معه من قبائل عسير، فالتقى الفريقان في يوم الخميس من النصف الأخير من شهر شوال في «حجلا» الواقعة بين أبها وخميس مشيط، فكانت المعركة شديدة، والهزيمة فيها من نصيب حسن وأتباعه من أهل عسير، ثم واصل الأمير ابن مساعد زحفه حتى وصل إلى مشارف أبها ليلاً؛

(٤٩) وثيقة رقم (١٠١٢) من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى عبدالعزيز بن مساعد في ١٣٣٨/١١/٢٤هـ. وثيقة رقم (١٠١٣) من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى عبدالعزيز بن مساعد في ١٣٣٨/١١/٢٤هـ.

(٥٠) عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٥١) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٥٢) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، دار الكتاب العربي، ج٢، ص ٩٦.

(٥٣) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٥.

فتوقف ولم يشأ اقتحامها عنوة حتى لايروع من بقي من أهلها الذين فضلوا الاستسلام صباحاً، وفي الصباح دخل مدينة أبها دون مقاومة، وأعلن العفو العام عن الناس، وتوافد رؤساء القبائل لإعلان الولاء والبيعة للسلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والانضواء تحت لواء التوحيد، بعد أن أخلاها ابن عايض وفر منها، واعتصم في جبل حرملة، فواصل الأمير ابن مساعد سيره غرباً بجنوب، وسيطر على جميع السراة، وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود السيد الإدريسي(٥٤)، وكان الإدريسي مواليا لابن سعود، وقد أسر بعض الفارين من آل عايض، ثم أخلى بعد ذلك سبيلهم إجابة لطلب السلطان عبدالعزيز(٥٥).

وبعد أن تمت للأمير ابن مساعد السيطرة على عسير السراة بجميع نواحيه أرسل إلى حسن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عايض يؤمنهم(٥٦). فرجع حسن وابن عمه من حرملة إلى الأمير ابن مساعد للاستسلام، فأرسلهما إلى الرياض حيث قوبلا من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بالعفو والأمان، وقد أقاما شهراً بضيافة السلطان، واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهم من قبل(٥٧). قال السلطان عبدالعزيز: "ما تخلينا أبداً عنكم يا آل عايض، وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم، أرسل الشريف يستنجد بعمي الإمام عبدالله(٥٨)، فأجابه: ابن عايض(٥٩) رجل منا فكيف نساعدك عليه!"، ثم عرض إمارة عسير

(54) F. O : 371/5147/ No: (910) From Mr. Scott. H. Cairo, 15 Sep. 1920 .
إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن: تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، الطبعة الأولى، الرياض، ج٣، ص ٢١-٢٢. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٧.

(٥٥) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١.

(٥٦) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٥-١٤٦.

(٥٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠. الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥٠. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٥٨) هو الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله.

(٥٩) محمد بن عايض.

على حسن بالشروط التي تقيد بها أجداده، فرفضها قائلا: "قد عادينا الناس، ونخشى إن أمرتنا أن يقوموا علينا، ولكننا نكون معاونين لمن تؤمرون أيدكم الله، ولاتقصروا عنا من جهة الدنيا".

فأعطاهما السلطان عبدالعزيز خمسة وستين ألف ريال فرنسي، وهو ما يعادل ستة آلاف وخمسمئة (٦٥٠٠) ليرة ذهبية معاونة منه، وخصص لهما مع أهلهما مقررات شهرية(٦٠)، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ ضياء الدين السيد بأنّ (حسن ومحمد) آل عايض ظلا لدى السلطان عبدالعزيز، ولم يشأ أن يلبي طلبهما بالعودة حتى يقدما وثيقة مكتوبة بالبيعة وعهود الولاء منهما ومن أنصارهما بعسير، وخاصة بعد أن وصلته وثيقة من بعض زعماء عسير تحمل توقيعات عدة يحث فيها موقعوها السلطان عبدالعزيز بألاَّ يسمح لآل عايض بمغادرة الرياض والرجوع إلى أبها خشية وقوع الفتن مرة أخرى، وقيل: أيدهم في ذلك ابن مساعد، لكن السلطان عبدالعزيز ترك آل عايض يعودون إلى عسير؛ لما اشتهر به من العفو، والتسامح - كما هي عادته - في مثل هذه الأمور، حيث اكتفى بتوقيع وثيقة من أنصار آل عايض له بالبيعة والولاء(٦١). بعد أن عاهداه (أي: حسن ومحمد) على الطاعة والولاء(٦٢). وبمعنى آخر يقول هاشم النعمي: "لم يكن بين الأمير حسن ورؤساء عسير وفاق، فقد كتبوا إلى السلطان عبدالعزيز راجين منه عدم عودة آل عايض إلى عسير، ولكن السلطان سمح لهم بالعودة إلى عسير بعد أن بايعوه، وأكدوا له أيمان الولاء وعهود الطاعة، وبعد أن وردته وثيقة البيعة من عسير بيد محمد بن مسلط وأحمد بن عبدالله بن مفرح اللذين كانا قد سافرا من الرياض بأمر

---

(٦٠) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٦١) عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٤٩.

(٦٢) أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة، ط٣، مطبعة الحرية، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص ٢٤٩.

السلطان عبدالعزيز إلى الأمير ابن مساعد في عسير؛ لأخذ وثيقة البيعة من عسير، وبعثها إلى الرياض مع المذكورين، وقد كتب معهما الأمير حسن بن علي إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد يستحثه في الإسراع بأخذ البيعة من عسير وعودة الرسولين بها إلى الرياض"(٦٣)، وذلك لضمان سرعة عودتهما إلى عسير، وكان لهما ما أراداه.

ب - فيصل بن عبد العزيز آل سعود وحملة عسير (١٣٤٠-١٣٤١هـ/ ١٩٢٢-١٩٢٣م):

بعد صلح حسن ومحمد مع السلطان عبدالعزيز والتزامهما بالطاعة والسماح لهما بالعودة - كما مر بنا في الفقرة السابقة - عاد الأميران إلى بلادهما راضيِيْن مغبوطين، فأقاما إلى جانب عامل السلطان عبدالعزيز في أبها، شُوَيش بن ضويحي، وكانت سيرتهما حسنة في بداية الأمر، ولكن حسنا كتب إلى السلطان عبدالعزيز يشكو شويشاً؛ فعزله السلطان، وأمّر مكانه عبدالله بن سويلم، فلم تمض مدة من الزمن حتى طلب حسن عزله، فأجابه السلطان، وأمّر مكانه فهد العقيلي(٦٤)، يذكر سعود بن هذلول أنه حين تم تعيين فهد العقيلي أميراً على عسير بدلاً من ابن سويلم ساءت الحالة بسبب تصرف هذا الأمير الجديد؛ وعدم خبرته في إدارة إمارة عسير(٦٥).

وقيل: إن حسناً كان يتعمد شكاية عمال السلطان عبدالعزيز، ويعمل على استبدالهم؛ ليستعيد نفوذه أمام قومه، وهو في الوقت نفسه يتحفز للانقضاض لاسترجاع عسير، وتم له ما أراد ولكن كان ذلك مؤقتاً(٦٦)، كما سيأتي. ومن أجل ذلك استأذن حسن من العقيلي للسفر إلى حرملة بلدته المنيعة؛ ليأتي بعائلته من هناك إلى أبها،

(٦٣) تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٣٥٨.
(٦٤) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.
(٦٥) تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٤٦-١٤٧.
(٦٦) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١.

فأذن له، وكان ذلك تمهيداً للثورة، وعند وصوله لها تمنع بها، وشرع يدس الدسائس على ابن سعود(٦٧).

ويؤكد ذلك حسن حسن سليمان حين يقول: "لقد أسهم الحكام الذين اختارهم ابن مساعد في الخلل الذي أصاب إدارة عسير، مما أثار شكوى السكان، ودليل ذلك الاضطراب أنه قد تعاقب على إدارة عسير ثلاثة أمراء في فترة وجيزة؛ مما جعل ذلك ينعكس على الحالة في تلك المنطقة والتي وجد فيها حسن بن عايض ضالته، وفرصة سانحة في التمرد على السلطان عبدالعزيز؛ لاسترجاع بلاد عسير، وخاصة أنه علم أن ابن مساعد قد صدرت إليه تعليمات من الرياض بالعودة إلى أبها؛ لتسوية الخلافات والنزاعات الدائرة في أبها، وهذا العمل كفيل باستقرار الأمن والنظام في بلاد عسير"(٦٨).

إلا أن حسناً كان لا يريد ذلك الوفاق، حتى لا تضيع الفرصة من يده وهو الذي يبحث عن أنصاف الفرص للانقضاض على والي عسير، لإنهاء الوجود السعودي فيها، مستغلا هذه الخلافات حجة واهية للعودة لحكم عسير.

وخاصة الخلافات التي كانت من قبل جماعته (بنو مغيد)، الذين أثاروا الكثير من الفتن والقلاقل والاضطرابات بالاتفاق معه(٦٩)، وقد اتصل - سرا - بالشريف حسين بن علي في مكة المكرمة؛ لمساعدته في تلك الثورة، فبعث له الشريف بكثير من المال والعتاد؛ لإعانته في حربه لابن سعود، وسعى أيضا في تأليب القبائل ضد ابن سعود(٧٠).

---

(٦٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١، أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(٦٨) حسن حسن سليمان: الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، د.م، د.ن، د.ت، ص ٨٠.

(٦٩) سعود بن هذلول: المصدر السابق، ص١٤٦.

(٧٠) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١. الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١.

أما حسن فقد اتفق مع أعوانه وأنصاره أن يظهروا اللين مع أمراء نجد في أبها حتى يستعدوا لتلك المعركة الحاسمة في نظرهم(٧١). ويعني ذلك أنهما (حسن ومحمد) نسيا فضل ابن سعود، وجحدا النعمة ويد معطيها إليهما، وتنكرا لما لقياه من حسن الوفادة والإكرام، وجميل الصفح وحسن المعاملة والأمان وراحة البال، وأعلنا عصيانهما وتمردهما، واستعانا بعطايا ابن سعود وخيراته على تجهيز جيش قوي للزحف به على أبها لإعادة حكمها لآل عايض(٧٢).

وبدأ الشريف حسين بتوزيع المال والسلاح لتأليب القبائل على حرب ابن سعود للانضمام إلى ثورة حسن بن علي بن عايض الذي اغتنم فرصة إظهار قبائل عسير سخطها على تصرفات العقيلي، فمشى إليهم بعد فتنة(٧٣) أثارها قومه "بنو مغيد" في أبها؛ فحاصر أميرها فهد العقيلي لمدة عشرة أيام، اضطر بعدها لضعفه وقلة رجاله أمام قوة خصمه إلى التسليم(٧٤)، على شرط أن يعود مع رجاله إلى الرياض بأسلحتهم الخفيفة، غير أن العقيلي بعد خروجه من أبها في شهر شوال عام ١٣٤٠هـ اتجه نحو بلاد شهران قاصداً بيشة.

وعند وصوله إلى خميس مشيط استقبله أمير شهران سعيد بن مشيط والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، واستطاع أن يجمع حوله بعض الموالين من القبائل للدولة في خميس مشيط للهجوم بهم على ابن

(٧١) محمد بن مسلط الوصال: تاريخ عسير، ص ٢٦٥.
(٧٢) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ١٤٩.
(٧٣) يقال: إن خادما من خدم الأمير فهد العقيلي اشترى من السوق حطباً، فلم يجد من يحمله، فطلب من أحد المارة حمله، فرفض، فضربه، وتجمهر الناس، وتأزم الموقف، وانتقلت الأخبار مشوهة ومبالغ فيها إلى بعض القبائل، فزحفت إلى أبها واستغل حسن هذا الزحف، وركب الموجة، وقاد هذا الزحف بنفسه. انظر: دلال: المرجع السابق، ص ٢٠٦، نقلاً عن (منير العجلاني، فيصل العظيم..، ص٦٦).
(٧٤) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١، الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١.

عايض وأنصاره، وكتبوا إلى السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حقيقة ما يجري في المنطقة(٧٥).

ولكن بعد رحيل قوات فهد العقيلي من أبها عاد حسن بن علي آل عايض من حرملة إلى أبها، وأخذ يجهز المنطقة ويحصنها بالرجال والعتاد، ومن ناحية أخرى بدأ بمراسلة الإدريسي، مبديا حسن النية والولاء له، وكان الغرض من ذلك كسبه إلى صفه في هذه المحنة، وفي الوقت نفسه أخذ يجهز جيشه العسيري تجهيزا كافياً من أجل إعلان الاستقلال بعسير لغرض سيطرته على القبائل المجاورة.

كما أقام هدنة مع قبيلة بني شهر لمناصرتهم ضد ابن سعود في عسير، وقد استطاع ابن سعود أن يهزمهم، ويدخلهم الطاعة في حربه الأولى على يد قائده ابن مساعد.

وقد نجح حسن بن علي بن عايض في جمع خمسة آلاف مقاتل، وجعل قيادة هذا الجيش مقصورة في آل عايض وعددهم خمسة قواد، وهم: محمد، وناصر، وعايض، وعبدالله، وسعد، أبناء عبدالرحمن بن عايض(٧٦).

وبعد تجهيز هذه القوات بتحريض من ملك الحجاز وبمساعدة بني شهر علم الأمير حسن ببقاء الحامية السعودية في خميس مشيط، فتقدم بقواته نحوهم، وبعد قتال شديد استطاع حسن وضع كمين للعقيلي، فقبض عليه في خميس مشيط، ووضعه في السجن بأبها بعد أن دفع له فدية من المال قدرها ثلاثة آلاف ريال، وأخذ من كل شيخ من شيوخ شهران حصانًا أصيلا وأسر بعضًا منهم، وقام بحرق

(75) F. O : 371/7716 momo , 12 Nov. 1922. F. O: 371/7716 Report, Jul Aug,. 1922.

دلال: المرجع السابق، ص ٣٠٥. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٦-١٤٧. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(76) F.O: 371/7716, Memo, from: sd/-M- Fazluddin, captin, I. M. S. Political Officer, Hodidah. co: the Frist Assistant, Resident, Aden, 12, Nov. 1922.

بعض بيوت الزعماء الموالين لآل سعود الذين وقفوا بجانب العقيلي، ومن بين هذه البيوت بيت سعيد بن مشيط لمساعدتهم له(٧٧)، وعلى أية حال فقد رأى الشريف حسين ملك الحجاز أن الفرصة قد سنحت له مرة أخرى؛ لينتقم لنفسه، ويثأر لها من السلطان عبدالعزيز في (تربة)، فبعث إلى بني شهر وقبائل عسير يأمرها بالعصيان، ويهيب بها أن تستقل ببلادها وأراضيها عن السلطان عبدالعزيز، وأن تلتف حول أميرها الوطني حسن بن علي آل عايض، وتقف معه يداً واحدة للدفاع عن عسير، وأعلن استعداده بمدهم بالمال والسلاح والرجال إذا لزم الأمر، وفعلا قام بمد حسن بكثير من الأموال والسلاح، ووعده بمده بالرجال، فازدادت قوة حسن وابن عمه محمد بعد القضاء على سيادة السلطان ابن سعود وأسر عامله(٧٨).

فتفاقم الأمر، واشتد الخطر على السيادة السعودية في عسير، واستمرت هذه الحالة أكثر من شهرين(٧٩)، وقد تمكن حسن وابن عمه من بسط نفوذهما على عسير خلال هذه المدة(٨٠). ويبدو أن التوقيت لهذه الفتنة كان مخططًا له مسبقا لتوافقه مع انشغال السلطان عبدالعزيز في حربه مع حائل، فنفذ حسن بن علي بن عايض طموحه في الاستيلاء على عسير، ففضل السلطان الانتظار حتى يفرغ من حائل.

وبعد سقوط حائل أوكل السلطان عبدالعزيز المهمة لابنه الأمير فيصل في السير على رأس حملة موجهة إلى عسير، لإخماد الفتنة

(77) F. O: 371/7716 momo, 12 Nov. 1922. F. O: 371/7716 Report, Jul Aug, 1922.

دلال: المرجع السابق، ص ٣٠٥. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٦-١٤٧.

(٧٨) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٧٩) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢. صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، منشورات دار مكتبة الحياة، ج٢، ص ٢٦٢.

(٨٠) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥٠.

وإعادة الأمن هناك، والتي تغذيها أهواء خارجية تهب تارة من الحجاز، وأحياناً من اليمن، وخاصة أن الشريف الحسين يرى أنّ إقليم عسير تابع له؛ لذلك كان يعمل على تغذية كل فتنة تعمل على الخروج على الدولة السعودية(٨١).

ومهما يكن فعندما فرغ حسن آل عايض من السيطرة على بلاد شهران توجه بقواته إلى بلاد قحطان للنكال بهم لولائهم الثابت للسلطان عبدالعزيز، فاستطاع بقوته وجبروته أن يلزم كبار رجال قحطان على دفع ثلاثة آلاف، وأخذِ حصان من كل شيخ من شيوخهم، كما أخذ أسرى من كل قبيلة من قبائل قحطان حتى يضمن وقوفهم معه أو الحياد خوفا من انضمامهم عند الحرب للسلطان عبدالعزيز، ثم طلب من محمد بن دليم زعيم قحطان دفع ثلاثة آلاف ريال، فطلب منهم مهلة ثلاثة ليال لدفعها، وبعد مرور المدة لم يف ابن دليم بالمال، فبدأ حسن آل عايض بالبحث عنه، فعلم أنّه قد توجه إلى بيشة في انتظار الجيش السعودي، وقد التقى ابن دليم فعلا بالأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود(٨٢). وكان الأمير فيصل قائد هذه الحملة لم يبلغ العشرين من عمره(٨٣)، ولكنه كان قائداً ملهما، قويا حازما ماهراً في فنون الحرب بطلاً لا يجاريه أحد، وفي الوقت نفسه كان "هو وأخوه سعود الأكبر" الساعد الأيمن لوالده رغم صغر سنه، فقد أمره السلطان عبدالعزيز بقيادة هذا الجيش، لمعرفته أنه أهل لهذه القيادة والانتصار، ولمعرفة فيصل الهدف الذي يسير إليه، والمهمة السامية المكلف بها لإخضاع هذه المنطقة، إضافة إلى ما كان

(81) F. O: 371/7715, Wahabi/File, No. 18, 25 October, 1922.

(82) F. O: 371/7716, Report, 1922.

(٨٣) كان مولد فيصل على الصحيح في شهر شوال ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م بعد انتصار والده في معركة "روضة مهنا" المشهورة، ويعني ذلك أنّ عمره عند قيادته لهذه الحملة ستة عشر عاماً، يؤكد ذلك: الوثيقة رقم (٣٨٩) صادرة من ديوان نائب جلالة الملك (المكتب الخاص) في ٤ ذي الحجة ١٣٧٠هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٥١م، الطائف، ص ١.

يتمتع به الأمير فيصل من حكمة ودهاء وعبقرية اكتشفها فيه والده مبكراً؛ فأنابه عن نفسه في الأمور الجسام(٨٤).

وعندئذ انطلقت هذه الحملة في شهر شوال عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م المؤلفة من ستة آلاف جندي مقاتل من الإخوان، يقودها الأمير فيصل آخذاً طريق رنية بيشة نحو عسير، وعندما دنا منهم انضم إليه أربعة آلاف مقاتل من قحطان وزهران وشهران ورنية وبيشة وغيرهم من تلك القبائل(٨٥) الجبلية، باثاً عيونه في تلك الديار يستطلع أخبار آل عايض للقضاء عليهم.

فوصلت أخبار زحف قوة الأمير إلى آل عايض، وقد استهانوا به لصغر سنه، فهل يستطيع فتى يافع أن يتغلب على قواتنا، وأن يتفوق على ما نملك من خبرة وفن في الحروب! فخيل إليهم أنهم سينتصرون على قواته، ويسجلون عليه نصرًا مبينًا، ويشتتون شمل جنوده، ولكن على الرغم من اطمئنانهم إلى الفوز فقد رأوا أن يجسوا نبض القوة السعودية قبل أن يدفعوا بقواتهم إلى الميدان، فأوعزوا إلى قبيلة بني شهر أن تهاجم بيشة، ووصلت الأمير فيصل معلومات تفيد بأنّ آل عايض قد أثاروا بني شهر، وقد وصلت أطراف بيشة، وهذه القبيلة تناصرهم وتحالف حليفهم الشريف الحسين الذي حرضهم ومدهم بالمال والسلاح لمهاجمة بيشة التابعة لابن سعود واحتلالها.

وكان القصد من وراء هذه الخطة هو استدراج جيش الأمير فيصل لقتال بني شهر؛ ليقفوا على مدى قوة الحملة السعودية وشجاعة قائدها، فاستشار الأمير فيصل قادة جيشه في أمر هذا الهجوم،

(٨٤) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥٠. صلاح الدين المختار: المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٨٥) أمين الريحاني: المصدر السابق. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٧.
F. O: 371/7716 , Report , 1922 .

فرأوا أن يزحف الجيش السعودي بكامله، ويقضي على هذه القوة إلا أن الأمير فيصل خالفهم الرأي، حيث رأى عدم الزحف بكامل الجيش إلى بيشة لقتال بني شهر؛ لأنّه عرف أنّ أبناء عايض وأعوانهم كانت خطتهم ترمي إلى استدراج الجيش السعودي إلى معركة صغيرة؛ ليقضوا عليهم في معركة كبيرة، يختار بنو عايض وقتها وساحتها، لذلك رأى الأمير فيصل ألاَّ يقع الجيش السعودي في فخ ينصبه له آل عايض، بل هو الذي يختار ميدان المعركة ويحدد موقعها وموعدها، فكتيبة واحدة من الجيش تكفي للمواجهة في بني شهر، فأكبر قادة جيشه حكمة الأمير فيصل رغم صغر سنِّه[٨٦].

لذلك أمر الأمير فيصل بابتداء القتال كما خطط له، فهجمت كتيبة من الجيش السعودي، وقتلت حوالي مئتين منهم على "العين"، وهذا المكان يقع ما بين وادي بيشة وترج، وتشتت البقية الباقية من قوات بني شهر في القرى والسهول والوديان والجبال خوفا من ملاحقة القوات السعودية[٨٧]. وكان لهذه المعركة صداها في عسير، ثم تقدم الأمير فيصل في هجوم خاطف في اتجاه بلاد ابن هشبل فالخميس.

وكان محمد بن عبدالرحمن بن عايض يقود جيشاً مرابطاً في خميس مشيط يقدر بعشرة آلاف مقاتل من قبائل آل مغيد وبني شهر ومحايل وعسير، وعندما علم بدنو الأمير فيصل[٨٨] وهزيمة بني

(٨٦) بيار روفايل: صقر الجزيرة، الطبعة الأولى، دار منشورات (حمد ومحيو)، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٨٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص٣٠٢. أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(٨٨) يقول هاشم النعمي: كان محمد بن عبدالرحمن آل عايض وقتها في عتود خلف الخميس من الغرب بمسافة قصيرة، وليس لديه علم بتلك الحركة الخاطفة للجيش السعودي، والحق أن أمير شهران سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط كان وفياً؛ إذ ما كادت تصل طلائع الجيش السعودي "تندحة" حتى أرسل إنذارًا إلى العسيريين الذين كانوا على جوانب وادي عتود بقيادة محمد بن عبدالرحمن كي لا يباغتهم =

شهر، خشي أن يداهمه الأمير في خميس مشيط، فانسحب بجيشه إلى حجلا؛ ليستعد ويتأهب لمنازلة الأمير فيصل، فعلم الأمير بذلك الأمر، فأدرك أنه يريد الاستعداد للمعركة، ورأى ألاَّ يترك له فرصة للاستعداد، فلحقت به سرية من الجيش السعودي، فتراجع مع جنوده إلى أبها، ثم غادرها إلى الحرملة ليعتصم فيها خوفاً من القوة السعودية دون قتال[٨٩]. وقيل: دارت في حجلا معركة شديدة حامية الوطيس بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود والأمير حسن بن عايض[٩٠].

وعلى الرغم من أن قوة آل عايض كانت قوة منظمة، ولديها أسلحة حديثة متقدمة أمدهم بها الشريف الحسين بن علي، إضافة إلى استعانتهم ببعض الضباط العثمانيين لوضع خطط المعارك، فقد استطاع الأمير فيصل أن ينتصر على قوات آل عايض في حجلا، ويحقق عليهم نصراً مؤزراً لما يتمتع به من حكمة وذكاء وهو دون العشرين[٩١].

= الجيش الزاحف على حين غرة... وقد نقل هذا الحديث عن الشيخ (محمد بن هشلول) من قرية العكاس إحدى ضواحي أبها، وكان يومها إماماً لأمير شهران عبدالعزيز بن مشيط: ومعلماً لأبنائه، حيث قال: "لما وصلت طلائع الجيش السعودي تندحة قال سعيد بن مشيط: أنا لست بغدار، اذهب إلى ربعك عسير المخيمين بوادي عتود، وأنذرهم يأخذوا سبيل النجاة، كي لا يقعوا في معركة الجيش الزاحف، فكنت أول نذير لهم" بتقدم جيش الأمير فيصل من الخميس في اتجاه مدينة أبها عاصمة عسير بعد انتصاره على قوات بني شهر.

هذه المعلومات أدلى بها الشيخ محمد بن هشلول نفسه شفوياً مع بعض المعاصرين ممن كانوا مع قائد جيش عسير محمد بن عبدالرحمن ومنهم (علي عميش) أحد أعيان مدينة أبها، (نقلا عن تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٣٦٤-٣٦٥).

(٨٩) أمين الريحاني: المصدر السابق.

(90) F. O : 371/7716, Op. cit.

بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٩١) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٧.

هذا النصر جعل حسن بن عايض يفر من حجلا إلى الحرملة[٩٢]؛ ليتحصن بها أمام قوات الجيش السعودي مخلفا وراءه كثيرًا من الموتى والجرحى، ولأنّ الدين الإسلامي الحنيف يحث على العناية والرفق حتى بالخصوم فقد أمر الأمير فيصل بدفن القتلى، ومعالجة الجرحى ومدهم بالأدوية والأغذية وإحاطتهم بكل الرعاية والعناية، لذلك أكبر العسيريون في الأمير فيصل شهامته ونبله، وكرم خلقه، فانضم من بقي في حجلا له، والحرب تحت لوائه، وما كان هذا العمل من الفيصل إلا امتثالاً لتوجيه والده السلطان عبدالعزيز الذي كان حريصا على سلامة أهل عسير[٩٣]. أما القبائل في المناطق المجاورة الذين انضموا إلى حسن بن علي بن عايض فقد أصابهم الهلع بقدوم الجيش السعودي، فهربوا إلى القرى البعيدة؛ ليتواروا عنه خوفا منه[٩٤].

أمر الأمير فيصل بدفن القتلى، ومعالجة الجرحى ومدهم بالأدوية والأغذية وإحاطتهم بكل الرعاية والعناية

وقد سار الأمير فيصل إلى حرملة لأنه لم يكتف بضم حجلا، بل اندفع متعقباً آل عايض لإدراكه هدفًا ساميًا، وهو القضاء على حركة حسن بن علي بن عايض، فأخذ يضم القرى المبعثرة هنا وهناك وهو في طريقه إلى ابن عايض، وكان مشهدا عجيبا في المدن والقرى، يدخلها ابن عايض صباحاً، فيخليها بعد ساعات؛ ليدخلها الأمير فيصل في المساء، وما زال ابن عايض وابن عمه في هزيمة وفرار لا يلويان

(٩٢) حرملة: هي بلدة منيعة في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ أو مسالك لا يعرفها غير أهلها، وكان آل عايض في حربهم مع العثمانيين يلجؤون إليها، وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم. انظر: أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢.

F. O: 371/771, Ibid .

(٩٣) جريدة أم القرى: العدد ٤٩٠، السنة العاشرة، الجمعة ٢٠ المحرم ١٣٥٣هـ /٤ مايو ١٩٣٤م، بلاغ رسمي رقم (٤). بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٧. عبدالرحمن الحصين: المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩.

(94) F. O: 371/7716, Ibid .

على شيء، حتى دخل حسن إلى بلدته «الحرملة» وتحصن بها، وعزم على الدفاع عن زعامته وعن أرضه حتى آخر نقطة من دمه، فما بعد حرملة شيء(٩٥).

لذلك مضى الأمير فيصل وجنوده حتى دخلوا أبها في شهر صفر عام ١٣٤١هـ، ووجدوا الطريق خالياً إلى أبها، فدخلوها، ولم يجدوا بها سوى النساء والأطفال(٩٦)، ولا من يستقبلهم فيها، فقام الأمير فيصل بعد أن استقر في قصر (شدا) بمدينة أبها، بإلقاء رسالة موجهة لأهل أبها يطلب منهم الرجوع إلى ديارهم بعد أن أعلن العفو العام، وأعطاهم الأمان، وبعد عشرة أيام عاد الناس(٩٧).

يقول الريحاني المعاصر لهذه الأحداث: "إن الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود قد أرسل رسالة يؤمِّن الناس في أبها شرط أن يسلموا «شوكة الحرب»، فسلموا له فريقًا من الذين كانوا ثائرين وعفا عنهم، وظل فريق مع حسن آل عايض فروا معه إلى بلدته حرملة، وتحصنوا فيها"(٩٨).

ويقول عبدالمنعم الغلامي: "لقد دارت بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وحسن بن عايض وابن عمه في أبها معركة حامية انكسر فيها ابن عايض، ودخلها الأمير فيصل في شهر صفر ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ولم يجد فيها مقاومة؛ لأنّ رجالها لحقوا بحسن بن عايض إلى حرملة"(٩٩). أما محمد ومن معه فقد فروا إلى القنفذة على ساحل البحر الأحمر(١٠٠).

---

(٩٥) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥١. بيار روفايل: المرجع السابق.

(٩٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢. أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق.

(97) F. O: 371/7716 Op. cit

(٩٨) تاريخ نجد الحديث، ص ٣٠٢.

(٩٩) الملك الراشد، الطبعة الثانية، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٣٥. الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١.

(١٠٠) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢-٣٠٣.

وعلى أية حال فقد عامل الأمير فيصل سكان أبها معاملة حسنة، وأحاطهم برعايته واحترامه بعد أن أنذر سكانها بتسليم السلاح الذي كان لديهم، فامتثل أهل أبها مقابل تأمينهم على أموالهم وحياتهم(١٠١)؛ لأنّ الأمير فيصل كان حريصاً على الحصول على السلاح الذي كان يحمله العسيريون مما خلفته الدولة العثمانية في عسير أثناء جلائها من أبها، إذ إنّ بقاءه في أيدي العسيريين خطر على الوجود السعودي لا سيما أن الأحوال في طور التأسيس لعدم استقرار الأوضاع، إذ إنّ أغلب حملته يسكنون خارج مدينة أبها، فصدرت أوامره لمشايخ القبائل وكبار رجالاتها لإحضار الرجل الطيب والبندقية الطيبة والاستعداد للجهاد، فلم يتخلف أحد ممن يحمل السلاح، لذلك عمل الأمير لهم وليمة في قصر شدا، فكانوا يدخلون من الباب الأول بالسلاح، ويخرجون من الباب الثاني دون سلاح، وهذه السياسة التي اتبعها الأمير فيصل سياسة حكيمة فيها دهاء قلّ أن يهتدي إليها سوى عباقرة الرجال، لا سيما في تلك المواقف الحساسة الدقيقة التي تستوجب السرية والحيطة والحزم والحذر لمثل هذه الأمور(١٠٢)، وتلا ذلك أن قدم لهم كل مساعدة حيث قام بتأمين الغذاء والدواء، فساد الأمن والعدل بين الرعايا في المدينة، وبعد ذلك عقد الأمير وقادته في أبها اجتماعاً بحثوا فيه أمر استئناف القتال مع حسن بن عايض في حرملة، فنصح أحد كبار القواد الأمير فيصل عند عزمه للزحف إلى حرملة، وقال: إنها مغامرة ليست سليمة العواقب، والسبب في ذلك يرجع إلى أن حصن حرملة حصن منيع(١٠٣)، حاولت الدولة العثمانية مرارا احتلاله، فعجزت؛ لأنّ الزحف إلى حرملة يظهر شبح الموت، فصعوبة تسلق

(١٠١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(١٠٢) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(١٠٣) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧. أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥١.

الجبل ليس بالأمر اليسير، فكان رأي بعض قادة الجيش السعودي هو الاكتفاء بما تم، وما أحرزه من نصر، والعودة إلى الرياض بعد إعلان الأرض التي استردوها أرضا سعودية.

ولكن الأمير فيصل خالفهم الرأي، وقال لهم: "نحن ما زحفنا إلى عسير لنهرق الدم العربي المسلم، وما جئنا لنستولي على أرض عربية، هدفنا كان وما زال "بنو عايض" وإلقاء درس عليهم في الوفاء، وفي صون المواثيق والعهود، سنزحف إلى حرملة غير آبهين بما ينتظرنا من الأهوال والأخطار، فيجب أن نقوم بالمهمة الملقاة على عاتقنا خير قيام، أو نموت شرفاء في ساحة الوغى، سنزحف إلى حرملة، وسأكون في الطليعة"، فدهش قادته الكبار لهذه الجرأة النادرة في فتى لم يتجاوز العشرين.

وقد سار الأمير فيصل إلى حرملة؛ لأنه لم يكتف باحتلال حجلا وأبها والمدن العسيرية الأخرى، متعقباً آل عايض لإدراكه هدفين ساميين، وهما:

أولاً: القضاء على حركة حسن بن عايض.

ثانياً: نشر الدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وساندها الإمام محمد بن سعود في تلك المناطق[١٠٤].

وكانت رغبة الأمير فيصل إنهاء الحرب دون قتال، فدعا آل عايض إلى الصلح والاستسلام دون إراقة دماء، وهذا ما تشير إليه الوثيقة البريطانية بأنّ الأمير فيصل قد دعا حسن آل عايض للقدوم إلى أبها، وعبّر ابن عايض عن عدم تمكنه من المجيء إلى أبها، وقال: إنّ قائد السعوديين يستطيع أن يرسل من خيرة رجاله إلى الحرملة لمراقبة تحركاتي هناك، ويعني ذلك أنّ حسناً فضّل السجن في دياره بدلا من أن يرسل إلى الرياض، وقام حسن بإرجاع الأسرى - الذين

(١٠٤) عبدالرحمن الحصين: المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٩.

سبق له أخذهم - إلى ذويهم في أبها، ومنهم فهد العقيلي، وسعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، وتم تكريمهما بأربعة آلاف ريال لكل منهما، وذلك لوقوفهما وصمودهما أثناء فترة استيلاء حسن على أبها قبل مجيء القوات السعودية، وبمعنى آخر لموقفهما المشرف مع الدولة السعودية، حيث تمت معاملتهما معاملة سيئة من قبل آل عايض، وأرسل معهم هدية إلى الأمير فيصل مقدارها ألف ريال فرنسي، فقام الأمير فيصل بردها إلى حسن، وهذا المبلغ عبارة عن ضمان لحياته في حال مجيئه إلى أبها، وفي حالة رفضه المجيء سيكون متمرداً على ابن سعود الذي دعاه، وبالتالي سيفقد نفسه وممتلكاته، لذلك رد حسن بأنّه سيحضر إلى أبها خلال ٣ أو ٤ أيام.

وعندما تسلم الأمير فيصل بن عبدالعزيز رسالة ابن عايض أرسل (١٧) رجلاً عسيريًا بقيادة قائد سعودي لمرافقة ابن عايض من الحرملة إلى أبها، وكان أحد رجال هذا الفيلق لديه أخ يسكن في حرملة قد وصلته معلومات تفيد بأنّ حسناً يريد الغدر بهذا الفيلق في منتصف الليل ومعه (٢٠٠) جندي من المقربين له في اليوم التالي، وفعلاً قام هذا الرجل وامتطى حصانه، وتوجه مسرعاً نحو الفيلق، حيث أخبر أخاه بما يدور في رأس ابن عايض من نوايا الغدر، فرجع الرجال إلى أبها، وأخبروا الأمير فيصل بتلك المؤامرة، وطلبوا منه تعزيزات عسكرية كرد فعل لهذا الحدث؛ فقام الأمير فيصل بجمع جميع زعماء قبائل عسير، وأخبرهم بأمر حسن، وكيف أنّ حسناً يريد أن يرتكب جريمة في حق عشيرته وأهله. فغضب كل من سمع هذه الخطبة، وبالفعل أجمع الحاضرون على جاهزيتهم على غزو الحرملة(١٠٥).

وكانت جبال الحرملة التي اعتصم فيها ابن عايض منيعة جدا لايصل إليها إلا أهلها، ويصعب ارتقاؤها إلا مع منافذ معلومة لا يعرفها

(105) F. O: 371/7716. Op. cit.

إلا أهلها، وكان آل عايض في محاربتهم مع العثمانيين يلجؤون إليها، وهي حصنهم المنيع منذ قديم الزمان.

فاستمر فيها حسن مقيماً ومعتصماً ومن معه من أسرته وقومه الموالين، أما محمد آل عايض فقد سافر من القنفذة إلى مكة المكرمة؛ يستنجد بالملك الحسين، فأنجده بسرية صغيرة يقودها الشريف عبدالله بن حمزة الفعر، ومعها مئتا جندي نظامي وبعض الرشاشات والمدافع بقيادة الملازم حمدي بك(١٠٦).

ولما علم الأمير فيصل بأخبار سفر محمد إلى الحجاز، بعث إلى الحرملة بالحملات العسكرية السعودية الواحدة تلو الأخرى، واستبسل في حصار الحرملة للقضاء على حركة حسن بن عايض، وبعد معارك عدة دامت أكثر من ست ساعات تمكن الجيش السعودي من دخول الحرملة(١٠٧).

بيد أن الوثائق البريطانية تذكر في أحد تقاريرها عن مراقبها السياسي في عدن فضل الدين أنّ الأمير فيصل عندما علم بغدر ابن عايض قام بإعداد حملة عسكرية لغزو الحرملة، وكان معظم هذه الحملة من رجال عسير لمعرفتهم بأرض الحرملة ومفاوزها(١٠٨)، وأسند قيادة هذه القوة إلى علي بن مشيبة أحد زعماء بني مغيد لمهاجمة الأمير حسن بن علي آل عايض، حيث كان معتصماً بقصره في الحرملة، وكانت الحرملة صعبة المسالك ملتوية الطرق؛ لهذا تم اختياره لتلك القوى السعودية لخبرتها ومعرفتها بمسالك تلك الأغوار(١٠٩). وبالفعل تحرك معه حوالي (٧٠٠) مقاتل قاموا بالهجوم

---

(١٠٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢-٣٠٣. الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٧-١٤٨.

(١٠٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(108) F. O: 371/7716. Op. cit.

(١٠٩) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٦.

على الحرملة في اليوم التالي، وهزم حسن في تلك المعركة بعد أن قتل (٥٠) من رجاله، وفر مع أسرته وأعوانه، وفي هذه المعركة غنمت القوات السعودية (٣٨) جوادًا عربيًا و (٤٥) سجادة فارسية (٢٠,٠٠٠) ريال فرنسي، وقد خسرت قوات الأمير فيصل حوالي (٧٠) قتيلاً في المعركة(١١٠).

ويخالف سعود بن هذلول هذين القولين السابقين، حيث ذكر أنّ المعارك استمرت لمدة يومين، استمر الجيش في الحصار والصعود حتى دخلوا حرملة(١١١)، فلم يجدوا فيها حسنًا، فقد هرب مع بعض قادته وأنصاره، فهدموا قصورها وحصونها، وعادوا إلى أبها(١١٢). وبهذا النصر عادت عسير من جديد إلى الحكم والنفوذ السعودي.

وكان الأمير فيصل قد أرسل قوة من رجاله إلى تهامة لمحاربة القوة القادمة من الحجاز والتي بعث بها الشريف الحسين بن علي إلا أنّ القوات السعودية لم تستطع الثبات؛ لأنّ تهامة كانت على الجيش أشد في حرها وحمياتها من صخور حرملة، فقد داهمتهم الحمى، لذلك عادوا منهزمين من الحمى، وتسلقوا الجبال، فاقتفى الجيش الحجازي أثرهم، للقضاء عليهم، وإخراجهم من أبها.

وفي هذه الأثناء وقع خلاف في الرأي بين قائد الحملة الحجازية الشريف عبدالله بن حمزة الفعر، والملازم حمدي بك البغدادي على الطريقة أو الخطة التي يجب سلوكها لتعقب الجيش السعودي، وكانت الكلمة الأخيرة للشريف الفعر، فسلك الطريق الذي حذره منه حمدي بك، فإذا بالشريف وقواته يقعون فريسة بين فكي الكماشة لقوات الجيش السعودي، وصيداً سهلاً، فقد أحاط جنود الأمير فيصل بجيش الشريف، وكاد يقضي عليه قضاء كاملاً، ولكن (الشريف

(110) F. O: 371/7716. Op. cit.

(١١١) تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٤٨.

(١١٢) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٨.

وحمدي) القائدين للشريف الحسين تمكنا بعد جهد جهيد من الفرار بنفسيهما، ومعهما بعض رجالهما، ولاذوا بجبال بارق، فتعقبهم الجيش السعودي، فهربوا منحدرين إلى تهامة، ومنها إلى القنفذة[١١٣]، ومنها إلى مكة المكرمة، وكان سيرهم ليلاً ونهاراً خوفا من جيش الفيصل[١١٤]، وقد استولى جيش الأمير فيصل على ما معهم من أسلحة ومدافع ورشاشات وأسلحة وذخائر ومؤن، فأخذوها، ورجعوا بها إلى أبها[١١٥].

جـ - الموقف البطولي للأمير فيصل في حرب عسير:

وهنا يشيد عبدالرحمن الحصين بزحف الأمير فيصل إلى حصن الحرملة بأنّه يعد مغامرة تعيد للأذهان مغامرة استرداد الرياض، فالإمام عبدالعزيز كان في مقتبل عمره، وهذا ابنه فيصل يقوم بمغامرة دخول حصن حرملة، وكأنه يعيد التاريخ لتلك المغامرة العظيمة المقترنة بالشجاعة التي فعلها والده عند استرداد مدينة الرياض دون مساعدة[١١٦].

لذلك يعد اقتحام الأمير فيصل هذا الحصن شجاعة نادرة؛ إذ لم يستطع العثمانيون الوصول إليه، وقد وقفوا عند حرملة في حروبهم حائرين غير قادرين إلى التقدم خطوة واحدة إلى قمة الجبل المنيع والتي تقع فيه تلك المدينة[١١٧]. وقد اجتاز الأمير تلك العقبات والمفاوز الجبلية الوعرة بكل شجاعة

اقتحام الأمير فيصل هذا الحصن شجاعة نادرة؛ إذ لم يستطع العثمانيون الوصول إليه

(١١٣) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣. عصام ضياء الدين السيد: المرجع السابق، ص ٥١.

F. O: 371/8939, No. (43384) 23, From, Colonia Office, 12, Sept. 1923.

(١١٤) أمين سعيد: فيصل العظيم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٥هـ، ص ٢٤.

(١١٥) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

(١١٦) فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، ص ٤٨.

(١١٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

حتى استولى على الحرملة التي استعصت من قبل على جيوش الدولة العثمانية[١١٨]، حيث استطاع معرفة طرقها الخفية حين باحت له بالسر. أما شجاعته وبسالته، فكان أول الفاتحين لها، ومن خلفه جنده الأبطال فرحين؛ لأنهم فتحوا ما استعصى فتحه على الدولة العثمانية[١١٩].

ويصف بيار روفايل معركة حرملة بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وحسن بن عايض، فيذكر أنها معركة ضارية تعد من المعارك المهمة والفاصلة في حرب عسير، فقد هجم السعوديون على الحرملة بكل قوة، وقاوم العايضيون استبسالا في الدفاع عنها، وطال الحصار، وقد أبى الأمير فيصل أن يعود دون دخول المدينة رغم المقاومة الشديدة، وفي المقابل رفض حسن بن عايض أن يرفع راية الاستسلام وهو في حصن منيع، خُيِّل له أنه يستطيع الصمود طويلاً، وأنّ الأمير فيصل سيضطر إلى العودة بعد أن يمل الحرب والحصار هو وجيشه، ويملأ اليأس قلبه لقوة المقاومة وشراسة الحرب، فيقطع الأمل من دخول حرملة، وعندما يحاول الأمير فيصل الانسحاب من الحرملة ينقض عليه ابن عايض ويفتك به وبجنوده، ويقضي عليه، ولكن الأمير فيصل أحكم الحصار على حرملة، ولم يداخله اليأس، فذخيرته ما نضبت بعد، وهمته عالية همة الشباب الواثق من قدراته.

ولكنّ هناك أمرًا لم يحسب حسابه حسن، فقد بدأ أبناء الحرملة يتذمرون بعدما أنهكهم الحصار السعودي، وصعبت عليهم سبل العيش والراحة والسلام، ولما لمس الأمير فيصل منهم ذلك رأى أن ينهي هذا الحصار، وأن يهاجم المدينة بشكل كامل، ويضع حدًا لتلك المعركة، فحمل حملة منظمة على الحرملة، واندفع بكل قواه وبكل جنوده وأسلحته وذخيرته في هجوم شامل لم يره أهل الحرملة من

(١١٨) عبدالمنعم غلامي: المرجع السابق، ص ٣٥.

(١١٩) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٢.

قبل، واستطاع الأمير فيصل من خلاله دخول حصن الحرملة بعد معركة من أروع المعارك الحربية وأشدها التي عرفها التاريخ السعودي الحديث(١٢٠).

وعلى أية حال فقد استطاع الأمير فيصل من بسط نفوذه على أبها بعد أن أنذر سكانها بتسليم السلاح الذي بحوزتهم، فامتثل أهل أبها لذلك الأمر مقابل تأمينهم على أموالهم وأرواحهم، وكان ذلك في شهر صفر ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، بعد معارك عدة مع آل عايض وأنصارهم في الحجاز، وبالتالي عامل الأمير فيصل سكان أبها معاملة حسنة لا مثيل لها فقد قدم لهم كل عون ومساعدة، وأمن لهم المعيشة، ونشر العدل والأمن والاستقرار والسلام في ربوع المنطقة؛ مما أدهش أهل أبها الذين لم يتوقعوا منه هذه المعاملة الطيبة، وخاصة بعد تمردهم الأخير مع آل عايض، ولكن التسامح والصفح والعفو عن المسيء هو ديدن الأسرة السعودية منذ قيام الدولة وحتى الآن(١٢١).

ولقد انتعشت تلك المنطقة تحت الحكم السعودي في عهد السلطان عبدالعزيز حتى أصبحت ذات حظوة لدى الأمير فيصل الذي لمس صدى ولاء سكانها للدولة(١٢٢).

وقد بقي الأمير فيصل في أبها لترتيب البلاد وتوطيد الأمن ونشر السلام ستة شهور، من أوائل شهر ذي الحجة عام ١٣٤٠هـ إلى أوائل شهر جمادى الأولى عام ١٣٤١هـ(١٢٣).

وبعد أن استتب الأمر والأمن في عسير لبطل عسير الأمير فيصل وضمها للدولة السعودية ونظم فيها دفة الحكم وسير أعمالها تسييرا حسناً، أسند إمارة أبها عاصمة عسير إلى سعد بن عفيصان وهو من

(١٢٠) صقر الصحراء، ص ٢٩١-٢٩٢.
(١٢١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.
(١٢٢) محمد المانع: المرجع السابق، ص ٥٠.
(١٢٣) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٧.

رجاله الأوفياء المخلصين للدولة السعودية(١٢٤)، وأبقى معه حامية عددها (٥٠٠) جندي لحماية عسير، ثم عاد إلى الرياض، فوصلها في ١٣٤١/٥/٢١هـ الموافق ١٩٢٣/١/٨م(١٢٥)، وكانت أخبار انتصاراته الباهرة قد سبقت وصوله إليها(١٢٦)، بل تعدت الأخبار المحلية حيث كان لنصر الأمير فيصل في عسير صدى في العالم، فقد وصل في ١٥ أكتوبر ١٩٢٢م (١٣٤١/٢/٢٤هـ) البرقية الأولى من البحرين، تفيد بأنّ السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود قد صرح بأنّ قواته قد استردت أبها بقيادة ابنه الأمير فيصل، بينما هناك تقرير آخر يفيد بأنّ فيصل قد هزم، أما البرقية الثانية فقد وصلت من الكويت تفيد بأنّ الأمير فيصل قد أخضع تهامة عسير للنفوذ السعودي(١٢٧)، وتلا ذلك بما يؤكد من مكتب الهند البريطاني في ٤ ديسمبر ١٩٢٢م (١٣٤١/٤/١٥هـ) برقية محولة من الكويت والبحرين تفيد بأنّ الأمير فيصل قد هاجم أبها، وانتصر عليها، كما أخضع تهامة عسير(١٢٨).

وعقدت الدهشة الألسن حين شكك بعض من الناس، ولم يكن يصدق قدرة الأمير فيصل في الوصول إلى الحرملة واقتحامها، إلا أنّ هناك رجلاً واحداً لم يشك في قدرة الفيصل، ولم يثره ذلك الانتصار؛ لأنه يعرف ويعلم أنه أهل لهذه الثقة رغم المهمة الشاقة، وينتظر منه ذلك الانتصار لفراسته المبكرة في هذا البطل، وكان ذلك الرجل هو السلطان عبدالعزيز والذي همس لابنه عند عودته وهو يراه منتصراً بقوله: "هذا ما كنت أرقبه من فيصل، وهذا هو نجل

(١٢٤) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(125) F. O: 371/8951, Adan News Letter Secret, 30th Nov, 1923.

أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(١٢٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

F. O: 371/8951, Ibid.

(127) F. O: 371/7716, No: (4873) From Indai Office, 4/11/1922.

(128) F. O: 371/7716, Wahabi File, No: (28), Dec. 1922.

عبدالعزيز، وليس لنجل عبدالعزيز أن يعود إلا والنصر معقود له وأكاليل الغار تعصب منه الجبين"[١٢٩].

وقد كان السلطان عبدالعزيز على حق حين رد بتلك الكلمة التي تحمل كل معاني الأبوة عندما قال: "لقد كنا على حق حين سميناه باسم جده"[١٣٠].

وبعد وصوله إلى الرياض في ١٣٤١/٥/٢١هـ الموافق ١٩٢٣/١/٨م، أخذ يستقبل المهنئين[١٣١]، وقد خرج لاستقباله أكثر من (٥٠٠٠) رجل، اجتمعوا خارج أسوار الرياض[١٣٢]، وقد جرى له استقبال رائع، وكان على رأس مستقبليه جده الإمام عبدالرحمن، الذي خرج لاستقباله خارج أسوار الرياض، وازدحم أبناء الرياض لتحية بطل عسير، ومرت فرقة من الفرسان، ثم أطل الأمير فيصل على رأس كوكبة من رجاله الأشاوس شاهرا سيفه مرتدياً ثياب الميدان، وفي عينيه وميض الذكاء، ويرتسم على جبينه وقار القائد الحازم، ثم ترجل الأمير فيصل ليحيي جده، فما كان من الإمام عبدالرحمن - وقد أدمعت عيناه لما رأى حفيده الباسل الظافر - إلا أن قبله بحرارة وعانقه طويلاً.

أما والده السلطان عبدالعزيز فلم يستقبل الفيصل استقبال الوالد لولده، بل استقبله قائداً أعلى كما يستقبل أحد قادته العائد من ساحة الحرب، وكانت دموع الفرح والاعتزاز ظاهرة في عين السلطان لا يستطيع إخفاءها[١٣٣].

---

(١٢٩) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(١٣٠) قدري قلعجي: موعد مع الكرامة، قبس من حياة فيصل بن عبدالعزيز وآرائه السياسية، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٤١.

(١٣١) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(١٣٢) عبدالرحمن الحصين: المرجع السابق، ص ٥١.

(١٣٣) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٤٢٢-٤٢٣.

وقد تحدث أمين الريحاني، المعاصر لهذه الأحداث في كتابه المنشور باللغة الإنجليزية بعنوان: "ابن سعود والجزيرة العربية" عن عودة الفيصل إلى الرياض بقوله: "شهدت يومئذ، وأشهد الآن من أعماق القلب وبحرارة أنّ الفيصل ممتاز، ولو افترضنا أنه لم يقم بقتال كبير، فإن زحفه من الرياض إلى جبال عسير على رأس خمسة آلاف من القوات هو في حد ذاته عمل بطولي عظيم، متى عرفنا أنّ قائد هذه المسيرة فتى لم يبلغ العشرين من العمر"(١٣٤).

وبعد هذا النصر أطلق عليه أهل نجد والناس لقب بطل عسير، وظهر للناس جميعاً أنه قائد شجاع مظفر يجمع بين الحرب والسياسة وبين القوة والكياسة(١٣٥).

فمولد هذا البطل كان في شهر شوال ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م بعد انتصار والده على خصمه العنيد عبدالعزيز بن رشيد والقضاء عليه، في معركة "روضة مهنا" المشهورة، واستخلاص القصيم من أيدي آل رشيد وأنصارهم (الدولة العثمانية) في معركة فاصلة كانت فاتحة عهد الانتصارات، والتي أحرزها عاهل الجزيرة العربية السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

وهذا ما قد يرمز إليه الاسم الذي اختاره له السلطان الوالد لنجله الثاني فيصل(١٣٦)، وهو الآن كما توقع السلطان عبدالعزيز، فقد حسم معركة عسير لصالحه، وضمها للدولة بعد أن بذل جهدًا عظيما رغم صعوبتها، ووعورة المكان الذي تقع فيه تلك المدينة التي يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ لا يعرفها سوى أهلها، وقد استعصت على من كان قبله.

(١٣٤) حسين الطنطاوي: الفيصل الإنسان، الاستراتيجية، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٣٦-٣٧.

(١٣٥) المرجع السابق.

(١٣٦) وثيقة رقم (٣٨٩) صادرة من ديوان نائب جلالة الملك (المكتب الخاص) في ٤ ذي الحجة ١٣٧٠هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٥١م، الطائف، ص ١.

ويعود ذلك إلى نشأة فيصل، فقد عرف عن كثب نهاية العهد الذي سبق الاستقرار للدولة مع والده السلطان عبدالعزيز، ورأى بعينه المحاولات الحربية اليائسة التي كان يقوم بها آل رشيد ضد الدولة السعودية، فكان حظ آل رشيد الهزيمة، ولم يفته كذلك مشهد الحصار الذي ضرب على حائل والتي تدفقت فيه روح الفتى الطامح إلى المجد والكفاح بعد أن تشبعت غرائز الطفل فيه، بحوافز البطولة التي كان يحيا في جوها باستمرار.

لذلك لم يخب ظن والده (السلطان عبدالعزيز) فيه عندما اضطرب الأمر في عسير بعد أن خضعت لحكمه، فأرسل إليها نجله الأمير فيصل ومعه كوكبة من الجنود الأشاوس، فلم يمض أكثر من خمسة أشهر حتى استسلمت، وسقطت عسير في يد هذا البطل الشاب (فيصل)[١٣٧]، فأصبح بطل عسير، وتم فيها نشر العقيدة السلفية، والتي تسعى الدولة الفتية جاهدة في نشرها في كل مكان تصل إليه، فساد فيها الأمن والاستقرار، وشاع فيها العدل والرحمة بدل الحرب.

ولكن الشريف الحسين بن علي لما علم بعودة الأمير فيصل إلى الرياض حاول مرة ثانية أن يعكر صفو هذا الأمن، فجهز حملة إلى أبها يريد طرد الحامية السعودية منها، وإعادة حكم آل عايض عليها؛ لتكون تحت نفوذه[١٣٨]؛ وكان يرافق هذه الحملة حسن آل عايض، فحاصرت هذه القوة سعد بن عفيصان وجنوده النجديين في أبها، فاستنجد ابن عفيصان بمن حوله من عرب قحطان، فجاؤوا لنجدته

(١٣٧) وثيقة رقم (٣٨٩) المصدر السابق.

(١٣٨) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٩.

F. O: 371/7715, Op. cit.

F. O: 371/8939, No: (381), 12, Sep. 1923.

F. O: 371/8951, Op. cit.

على رأس رئيسهم (متروك بن شلفوت)، فخرج ابن عفيصان بعد وصول هذه النجدات، واشتبك مع حملة الشريف في قتال عنيف، أجبر فيه آل عايض ومن معهم من قبائل عسير وجنود الشريف بالتقهقر إلى محايل والقنفذة(١٣٩).

بيد أنّ حسن آل عايض ومن معه من أنصاره فارقوا الحملة، واستطاعوا النفوذ إلى حرملة؛ ليتحصنوا فيها، وما لبث أن توفي الأمير سعد بن عفيصان بعد أن فك الحصار عن أبها بأيام قليلة، فعين السلطان عبدالعزيز على أبها عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً على عسير خلفا لابن عفيصان.

كان هذا الرجل حازماً قوي الشكيمة مع شيء من الدهاء وحسن التصرف، فاستطاع أن يفاوض حسناً حتى اطمأن له ومعه أسرته كافة، فذهب ابن إبراهيم إلى الحرملة بنفسه، وجاء بهم إلى أبها، ثم بعد ذلك أرسلهم إلى الرياض، وعندما وصلوا إليها عفا عنهم السلطان عبدالعزيز، وأجزل لهم العطاء، وخصص لهم المخصصات المالية الشهرية، فأقاموا في الرياض مكرمين حتى أدركهم الموت، وما زال من أحفادهم حتى اليوم في الرياض(١٤٠).

---

(139) F. O: 371/8951, Ibid.

سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(١٤٠) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٩-١٥٠.